التجنيد الالكتروني للأطفال وتداعياته على الامن الدولي
(داعش انموذجاً)

أ.د. أزهار عبدالله حسن الحسني
جامعة كركوك / كلية القانون والعلوم السياسية

الملخص:

إنَّ التطور التقني غير شكل الحياة في العالم نتيجة الاعتماد على وسائل تقنية المعلومات الحديثة في المجالات المختلفة: المالية؛ التعليمية؛ الامنية...الخ، ورغم فوائد هذه الوسائل الإلكترونية الحديثة والتي يصعب حصرها الا ان الاستخدامات السيئة والضارة لها من قبل التنظيمات الارهابية في الارهاب او التجنيد الإلكتروني أصبح خطراً يهدد العالم بأسره؛ خاصة بعد ان اصبحت وسائل التواصل الاجتماعي تستخدم لتجنيد الاطفال والقصر في منازلهم بغية إقحامهم في حروب وأعمال قتالية لا علم لهم بها ولا يمكن أن يتحملوا تبعاتها في هذه السن الصغيرة، وهو ما اسهم بالتالي في انتشار الفكر المتطرف المتشدد ، ولعل ما تقوم به التنظيمات الارهابية من عمليات تعبئة وتجنيد من كل الثقافات والدول مستخدمة وسائل تقنية حديثة دليل واضح، خاصة في ظل عدم قدرةٍ المؤسسات والاجهزة الامنية على معرفة تلك العناصر المجندة عبر الانترنت الا عندما يقومون بارتكاب عملياتهم الاجرامية التي ما تنفك في زيادة ملحوظة والتي لها انعكاسات كبيرة وخطيرة على امن المجتمعات والدول كافة.

الكلمات المفتاحية : (التجنيد، الاطفال، التجنيد الالكتروني، الامن الدولي).

Electronic recruitment of children and its repercussions on international security
(ISIS is a model)

Mr. Dr. Flowers Abdullah Hassan Al-Hassani
Kirkuk University / College of Law and Political Science

Abstract:

Technical development has changed the form of life in the world as a result of relying on modern information technology means in various fields: financial; educational; security...etc; Despite the benefits of these modern electronic means, which are difficult to enumerate, the bad and harmful uses of them by terrorist organizations in terrorism and/or electronic recruitment have become a threat to the entire world. Especially after social media has become used to recruit children and minors in their homes in order to involve them in wars and hostilities of which they are not aware and cannot bear the consequences

at such a young age, which consequently contributed to the spread of extremist extremist ideology. Terrorist organizations mobilize and recruit from all cultures and countries using modern technical means is clear evidence, especially in light of the inability of the security institutions and services to know those recruited elements via the Internet except when they commit their criminal operations, which continue to increase significantly and have significant and dangerous repercussions On the security of all societies and countries.

Keywords: (recruitment, children, electronic recruitment, international security)

المقدمة :

لقد اسهم التطور التقني في تغيير شكل الحياة في العالم» بحيث أصبح الاعتماد على وسائل تقنية المعلومات الحديثة يزداد يوماً بعد اخر في كل المجالات : المالي، التعليمي، الامني المرافق العامة...الخ ، لكن رغم فوائد هذه الوسائل الإلكترونية الحديثة والتي يصعب حصرها الا ان الاستخدامات السيئة والضارة لها من قبل التنظيمات الارهابية في الارهاب و/او التجنيد الإلكتروني أصبح خطراً يهدد العالم بأسره، خاصة بعد ان اصبحت وسائل التواصل الاجتماعي الحديث "اليوتيوب" و"التويتر" و"الفيس بوك" و"الواتس أب" و"الانستجرام"..التي تستخدم الإنترنت بسهولة لتجنيد الاطفال والقصر في منازلهم أو عبر هواتفهم الجوالة، ومن ثم إقحامهم في حروب وأعمال قتالية لا علم لهم بها ولا يمكن أن يتحملوا تبعاتها في هذه السن الصغيرة، وهو ما اسهم بالتالي في اتساع انتشار الفكر المتطرف المتشدد والفتاوى الضالة، التي لها انعكاسات كبيرة وخطيرة على امن المجتمعات والدول كافة. ومن هنا تنبع اهمية الموضوع الذي يسلط الضوء على طبيعة الأخطار وأشكال الدمار الذي يسببه التجنيد سواء للفرد المجند أو الجماعات أو الدول، فالإرهابيون يستخدموا مواقع التواصل الاجتماعي نظرا لما توفره من قدرة على التواصل مع الاخرين وبخاصة من فئة الاطفال والشباب عبر العالم لبث افكارهم بطرق مدروسة ودقيقة واقناعهم بهذه الافكار المتطرفة سواء من خلال الدين او من خلال افكار تتسم بالعنف وتستغل بيئة الاطفال غير المستقرة او الفقيرة ورغباتهم في الوصول للأفضل وعدم المامهم بتلك الافكار او معرفتهم لطبيعتها وهويتها والعمل على تضليلهم واجتذابهم للإيمان بها ومن ثم جعلهم عناصر فاعلة في تنفيذ العمليات الارهابية كلا في دولته، وهو ما يسهم في انتشار واسع النطاق في كل العالم، ولعل ما قام به تنظيم داعش الارهابي من عمليات تعبئة وتجنيد عناصر جديدة من كل الثقافات والدول مستخدمين وسائل تقنية حديثة دليل

واضح على ذلك؛ خاصة في ظل عدم قدرةٍ المؤسسات والاجهزة الامنية على معرفة تلك العناصر المجندة عبر الانترنت الا عندما يقومون بارتكاب عملياتهم الاجرامية التي ما تنفك في زيادة ملحوظة.

اما اشكالية البحث فتتمثل في ان التطور الحاصل في استخدام الانترنت وبخاصة شبكات التواصل الاجتماعي قدمت خدمة غير مقصودة للتنظيمات الارهابية التي قامت باستغلالها للقيام بعمليات تهدد امن وسلامة الشعوب والمجتمعات وتستهدف البنى التحتية للدول، كما انها وفرت سهولة في نقل الافكار والبيانات والمعلومات بين عناصر الجماعات الارهابية من جهة؛ ومع فئات المجتمع بالذات الاطفال لاجتذابهم للقيام بإعمال ارهابية من جهة اخرى.

وينطلق البحث من فرضية مفادها ان التنظيمات والجماعات الارهابية استخدمت مواقع التواصل الاجتماعي للترويج لأفكارها واستقطاب وتجنيد الاطفال والقصر للقيام بالعمليات الارهابية، عبر التأثير على حالتهم النفسية واستغلال طموحاتهم واندفاعاتهم وقلة خبرتهم ومن ثم صياغة افكارهم وتوجهاتهم بالتحريض على الكراهية والحقد وحرب الافكار فيسهل بالتالي تجنيدهم لتنفيذ هجمات ارهابية، وهو ما من شانه الاضرار بالأمن المجتمعي خصوصا والامن الدولي عموما، ولإثبات صحة الفرضية اعلاه سنعمد الى بيان ما يأتي:

– بيان مفهوم التجنيد، والتجنيد الالكتروني، وعلاقته بالأمن الدولي.

– بيان اهداف التجنيد الإلكتروني ووسائله.

–بيان التداعيات المباشرة وغير المباشرة لتجنيد الاطفال الكترونيا على الامن الدولي.

– اغناء المكتبات العلمية والاكاديمية بمصادر التجنيد الإلكتروني للأطفال.

اما منهج البحث فقد تم اعتماد المنهج الوصفي في تناولنا لمفهوم التجنيد لغة واصطلاحا والتجنيد الالكتروني، والطفل الجند؛ واعتماد المنهج التحليلي في تناول اهداف التجنيد الالكتروني ووسائله، وتداعياته على الامن الدولي .

تنقسم هيكلية البحث الى مقدمة ومبحثين تناول المبحث الاول مدخل تمهيدي تضمن مطلبين تناول المطلب الاول: مفهوم التجنيد والتجنيد الالكتروني؛ وتناول المطلب الثاني: علاقة التجنيد الالكتروني بالأمن الدولي، وتضمن المبحث الثاني: وسائل التجنيد الالكتروني للأطفال وتداعياته على الامن الدولي مطلبين، تناول المطلب الاول: وسائل التجنيد الالكتروني وتناول المطلب الثاني: تداعيات التجنيد الإلكتروني على الامن الدولي، واخيرا جاءت الخاتمة (استنتاجات وتوصيات).

المبحث الاول : مدخل مفاهيمي نظري

سنعمد الى تناول مفهوم التجنيد لغة واصطلاحا وانواع التجنيد من حيث الطرق المستخدمة لتحقيقه؛ مع التطرق الى مفهوم التجنيد الالكتروني وعلاقته بالامن الدولي ؛ وكالاتي:

المطلب الاول : ما هية التجنيد والتجنيد الالكتروني

التجنيد هو اسم ومصدر جَنَّد فنقول: أعلن عن تجنيد الجنود الاحتياطيين: جمعهم لمواجهة حرب او كارثة وليكونوا في حالة تأهب؛ والجند بالضم: العسكر والأعوان والمدينة، وصنف من الخلق على حدة، والجند بالتحريك الارض الغليظة، وحجارة تشبه الطين، والجنود لقب عسكري يطلق على كل من يلتحق بالجيش ويعمل فيه، ويرادف المقاتل والمحارب والعسكري .

اصطلاحاً يراد بالتجنيد " الانتماء الى الجيش سواء كان الزاميا ام اجبارياً ام طوعياً في أي مجموعة مسلحة او قوة مسلحة من اي نوع كانت سواء كانت نظامية ام لا"، ويعرف على انه "العملية الكاملة لتجنيد افراد عسكريين في القوات المسلحة او جماعات مسلحة وتشمل جميع مراحل الاختيار والتدريب"، وهناك من يستخدم التجنيد كمرادف لمصطلح العسكرة سواء كانت نظامية ام غير نظامية، وبقدر تعلق الامر بالطفل فعسكرته تعرف على انها" عملية اداء الطفل لدور عسكري لا يتناسب مع مرحلته العمرية البيولوجية والاجتماعية والنفسية والمحددة قانونا سواء من خلال مشاركته الفعلية في انشطة عسكرية حقيقية او كجزءٍ من لعبة مع اقرانه او في ادائه لأدوار ذات طبيعة طقسية او احتفالية يطرح فيها ذاته لا بوصفه طفلا بل بوصفه عسكريا او مقاتلاً".

لعل من نافلة القول، ان التجنيد لا يكون على نسق واحد ؛ فهناك التجنيد الالزامي الخارج عن ارادة الشخص المجند، وهو ما تفرضه الدولة على الفرد الذي يحمل جنسيتها، وتنظمه القوانين الداخلية عادة، وهناك التجنيد الطوعي عندما يقوم الافراد بالانضمام الى القوات المسلحة بإرادة ذاتية دون اي تهديد او عقوبة.

اما التجنيد الالكتروني موضوع بحثنا فلا يوجد تعريف مباشر ودقيق له من جهة ، كما لم تتطرق اية اتفاقية دولية او اقليمية وحتى القوانين الوطنية له بالتحليل والتفسير، باستثناء بعض النصوص القانونية والتصريحات الاعلامية التي تناولت مسالة انشاء مواقع او النشر والترويج لمعلومات ونشاطات ارهابية، بيد ان التجنيد الالكتروني كمفهوم لا يختلف عن الانواع الاخرى السالفة الذكر من التجنيد الا في الاداة او الوسيلة المستخدمة فيه، ففي ظل التطورات التكنولوجية والتقنية الحديثة التي يشهدها العالم والمتمثلة بالأنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي (تويتر والفيس بوك، ومنتديات الدردشة العامة والمغلقة؛ وبرامج الاتصالات المشفرة،... وغيرها) عمدت التنظيمات الارهابية الى استخدام هذه التقنية الحديثة بصورة منتظمة لاستقطاب وتعبئة وتجنيد مقاتلين جدد من مختلف الفئات العمرية ولا سيما الاطفال ومن جميع انحاء العالم، مستغلة عوامل عديدة تؤدي دوراً مهما في عملية تجنيد الاطفال منها: التفكك الأسري وفقدان التوجيه، وعدم الانتظام في الصفوف الدراسية لأي سبب أو تركها بسبب الرسوب والتعثر الدراسي. وتُظهر خريطة تجنيد الأطفال في العالم أن العوامل الاقتصادية والاجتماعية كالفقر والجهل ما زالت تدفع إلى انضمام عشرات الآلاف من الأطفال للميليشيات المسلحة والجيوش، إضافة إلى عوامل ترتبط بالتحريض الديني أو العرقي. اذن فأن التنظيمات الارهابية تستغل حالة عدم الرضا نتيجة الظروف الاجتماعية السيئة للأطفال، او حالة الفقر والبطالة وغياب الوعي الديني والرقابة الاسرية...الخ، وبذلك تتمكن من تجنيدهم بما يحقق ماربها الخاصة ويتعارض مع امن المتجمع واستقراره الداخلي، فضلا عن تصدعه واهتزازه في اهم واخر عناصره وهم الاطفال وهو ما يؤثر على يان الاسرة والمجتمع ككل. عليه ينظر للتجنيد الالكتروني على انه " استغلال التنظيمات الارهابية للشبكة العنكبوتية في الترويج لأفكارها عبر وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة، مستغلة عقولاً مأجورة تنشرها وتدافع عنها ولاستقطاب اعداد كبيرة من الشباب والتغرير بهم مستخدمين بعض العبارات الرنانة التي سخروها لخدمة هذا الغرض بأسلوب يعتمد على استمالة مشاعر المستهدفين

واللعب على أوتار عواطفهم". وبهذا الشكل تضمن التنظيمات الارهابية ديمومة بقائها واستمرارها عبر استقطاب اكبر عدد ممكن من التابعين والمؤيدين

صفوة القول، ان التجنيد الالكتروني انما يراد به عملية تعبئة الاطفال دون سن الثامنة عشرة من العمر من قبل الجماعات والتنظيمات المسلحة باستخدام الوسائل التكنولوجية المتطورة عبر اساليب الاستغلال والتلاعب والتشويه الفكري وغسيل المخ من اجل تحقيق اهدافها الخاصة .

المطلب الثاني : العلاقة بين التجنيد الالكتروني للأطفال والامن الدولي

يعد الامن دافعا طبيعيا يوجه سلوك الأفراد والمجتمعات بغية توفير السلم والاستقرار كبديل لحالة الخوف والضرر، وهو بذلك يعد مبررا أساسيا لانضمام الأفراد إلى تكتلات اجتماعية أكبر نتيجة للحاجة الأمنية الملحة، وهنا يتبلور الأمن الإنساني الذي محوره الإنسان الفرد لا الدولة كوحدة التحليل الأساسية في السياسة الأمنية، وهذا النوع من الأمن بدأ يحل محل حقوق الإنسان عالمياً بتبني قضاياه من منظور أمني ومنهج استراتيجي، في حين مثل الامن القومي مفهوما يراد به الحماية وغياب التهديد لقيم المجتمع الاساسية وغياب الخوف من خطر تعرض هذه القيم للهجوم".

وفي ظل التطورات التكنولوجية الحديثة واتساع نطاق النزاعات المسلحة والاعمال الارهابية تعرض الامن الانساني (امن الفرد) والامن القومي (امن الدولة) الى جملة تحديات نتيجة الاستخدام السيئ لتكنولوجيا الاتصال والمعلومات ك(مسالة تجنيد الاطفال الكترونيا)؛ وهو ما اضر بالأمن الدولي ككل، وهنا تتجلى لنا طبيعة العلاقة بين التجنيد الالكتروني للأطفال والامن الدولي، التي تمثل علاقة عكسية اذ ان زيادة واتساع نطاق ظاهرة التجنيد الالكتروني الناتجة عن اتساع نطاق النزاعات المسلحة والاعمال الارهابية يقابلها تراجع في الامن الدولي والعكس صحيح، فالأمن الدولي يعكس مفهوما واسعًا يتعلق بذلك المستوى الذي تستطيع في الوحدات السياسية او الدول فرادى او جماعة من أن تصبح في مأمن من خطر التعرّض لهجوم ارهابي من نواة مجتمعها ٠

ولعل من نافلة القول، ان ازدهار الحياة في اي مجتمع أو امة لا يتحقق إلا بسلامة أطفالها فهم عماد المجتمعات والامم وضمان استمرارها وتطورها لكن مع تطور اساليب الحياة وتعقدها وازدياد الصراعات والازمات واتساع نطاقها وما رافقها من ظهور لجماعات وتنظيمات ارهابية وجدت ضالتهم

في الأطفال بغية تحقيق غايتها وأهدافها من خلال جعلهم وقودا لحروبهم، وسلعة لتجارتهم، ولضمان استمرارية المجتمعات وتطورها، كان لابد من حماية الأطفال من كل أوجه الاستغلال لهم بالذات من عملية تجنيدهم ٠

فتجنيد الاطفال يعد من اهم جرائم انتهاك حقوق الانسان عموما وحقوق الطفل بالذات؛ وبما ان لهذه المسالة اثار على الامن الداخلي للدول والامن الدولي عموما فقد تولت العديد من الاعلانات والمواثيق والاتفاقيات مهمة رعاية الاطفال وحمايتهم؛ ونصت العديد منها على منع الدول من تجنيد الاطفال كاتفاقيات جنيف الاربعة لعام ١٩٤٩، والبروتوكولات الملحقة بها التي حظرت تجنيد الاطفال دون سن١٥عاماً حظرا مطلقاً أيا كانت الوسيلة المتبعة فيه، وهو ما ينطبق على كل انواع تجنيد الاطفال ومن ضمنها وسائل التواصل الحديثة.

كما تكفلت الدول الاطراف في اتفاقية حقوق الطفل والبروتوكولات الملحق بها باتخاذ التدابير اللازمة بشأن اشتراك الاطفال في النزاعات المسلحة وعمدت الى رفع سن الاشتراك من ١٥ الى ١٨، وحدد هذا السن للتجنيد الالزامي اما فيما يخص التجنيد التطوعي فقد اجاز للدول قبول الاطفال دون سن ١٨ للخدمة العسكرية مع ضمانات ان يتم بموافقة الاباء او الاوصياء القانونيين على الطفل، وان يحصل الاخير على معلومات كافية توضح له المهام الملقاة على عاتقه مع تقديم دليل موثق عن سنه، لكن فيما يخص الجماعات المسلحة فلا يحق لها تحت اي ظرف ان تقوم بتجنيد الاطفال او استخدامهم، وعلى الدول التي توجد فيها مثل هذه الجماعات ان تتخذ جميع التدابير الممكنة لمنع التجنيد او الاستخدام وتجريم هذه الممارسات .

واخيرا يمكن القول، ان مسالة تجنيد الاطفال الكترونيا يدخل في باب الجرائم ضد الإنسانية التي تنتهك الكرامة البشرية وكرامة الإنسان وحقوقه وحرياته، والمساواة الاجتماعية، وسيادة القانون والتي ادت الى تزايد الأعمال غير الإنسانية.

المبحث الثاني: وسائل التجنيد الالكتروني للأطفال وتداعياته على الامن الدولي

ان مسالة التجنيد الالكتروني للأطفال لا تقتصر على الجماعات المسلحة الإرهابية، بل تتجاوزه إلى جماعات الإسلام السياسي أو التيارات الأصولية التي تحاول فرض أيديولوجيتها على جميع طبقات

المجتمع ومنهم الأطفال، لا سيما في أوقات الأزمات السياسية من أجل حشد المواقف السياسية، بيد أن الخطورة المستقبلية لا تنحصر في مناطق التجنيد بل تتعداها إلى دول العالم أجمع، بالنظر لتعدد وتنوع وسائل التجنيد وتداعياتها على الامن الدولي وكالاتي:

المطلب الاول: وسائل التجنيد الالكتروني

تعتمد التنظيمات الارهابية (داعش) على جملة من الخطوات او الاستراتيجيات لإغواء واستدراج الاطفال والمراهقين وتجنيدهم من قبلها ويمكن ذكرها على سبيل المثال لا الحصرب':

١- الطابع التديني: يراد به توظيف الموروث الديني ورفع الشعارات الدينية المظللة والسوابق التاريخية لبعض الحكام (الخلفاء، والمسلمين)، لتعزيز منهجها القائم على الاحتراب والقطيعة.

٢- الادعاء بانها تخدم قضية عامة وأنها تعمل في خدمة المصلحة العامة (الدينية والاجتماعية والوطنية)

٣- السعي الى استغلال التعثر في خطوات إنجاز المهام الوطنية والاجتماعية والثقافية لحكومات الدول، والشعور بالإحباط الناجم عنه لصالحها وتظهر بمظهر القوة التي تتبنى نضال الشعوب لإنجاز المهام الوطنية والاقتصادية والثقافية والدينية.

٤- أن التنظيمات الإرهابية لم توجد في فراغ، وإنما ظهرت في سياق ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية ودينية معينة أنتجتها وربما ما زالت تعيد إنتاجها.

٥- تعتمد التنظيمات الإرهابية أساساً على الفئات العمرية من الاطفال والمراهقين والشباب المحبط بسبب معطيات الواقع المتردي ومفرداته.

ولتنفيذ الاستراتيجيات اعلاه ونقلها من الجانب النظري الى التطبيقي تتعدد وتتنوع الوسائل المعتمدة من قبل التنظيمات الارهابية لضم وتجنيد مقاتلين جدد ومؤيدين، مستهدفه اكثر الفئات العمرية تأثرا واسرعهم انجذابا الا وهم الاطفال والمراهقين، بالنظر لما يتمتعوا به من امكانية وسهول الانتقال وخفة الحركة في المناطق الساخنة، دون ان يكونوا موضعا للشك من العدو ويمكن تقسيم هذه الوسائل الى :

اولاً: الوسائل التقليدية:

تتمثل بالمنصات الإعلامية للدعاية والاذاعة والتلفزيون والسينما التي لها دور كبير في إمكانية النشر المكثف للصور والأفلام والوثائق التي تدعم الأفكار التي تروج لأنشطتها وأفكارها كمظاهر العنف وتربى روح الجريمة في المجتمعات مما يسهم بصورة مباشرة وغير مباشرة في تحلل المجتمع وتذويب اعراقه وتقاليده، ولعل اهم فئات الجمهور المستقطبة من قبلها هم الاطفال اللذين تعجبهم ضخامة الشاشة وكبر حجم الممثلين وهو ما يجعله ذا قدرة على جذب الصغار والكبار حول شاشته، وهو ما يزيد من تأثيره عليهم ويكون ذلك في اتجاهين:

الاول: التأثير الاني وهو الذي يحدث في نفس الطفل عندما تكون الرسالة جديدة كليا عليه او تحوي قدرا كبيرا من الاثارة ٠

الثاني: التأثير التراكمي او البعيد المدى: الذي يكون من خلال تعرض الطفل لرسائل متقاربة في ازمنة مختلفة وبشكل متدرج، ومن خلال اكثر من صورة وطريقة مما يرسخ في نفسه الافعال والاقوال التي ذكرت له.

عليه تمارس الوسائل التقليدية دورا اساسيا ومهما في نقل الحدث بكل ابعاده، ولا يقتصر دورها على نقل الخبر بقدر ما لها من دور في جعل المتلقي يعيش الحدث ذاته وبكل حواسه وهو ما استفادت منه التنظيمات الارهابية في نقل عملياتها الارهابية بما تحمله من معنى المغامرة والخطر والترقب وتحقيق مقاصدهم بنقل رسالتهم بالصورة التي يريدونها، خاصة وان هكذا صور ومشاهد توقظ النزعة العدوانية الكامنة وتحولها من استعداد للعنف الى عنف فعلي يمارس واقعيا خاصة عند الاطفال، بالذات عند تزامنه مع جملة عوامل ذاتية او خلفيات هشة في حياتهم فقد يكون هناك تفكك أسري أو تأثر بالحركات الجهادية أو الصحبة الغير صالحة او اي شكل اخر من اشكال المعاناة (عنف، تعسف، سجن)، وهو ما يجعلهم بالتالي مهيئين للانخراط في صفوف الجماعات المتطرفة دون ان يروا السلبيات او يفكروا في العواقب.

ثانياً: الوسائل الحديثة: تتمثل بمواقع التواصل الاجتماعي

وفر الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي مثل تويتر وانستاغرام وفليكر ويوتيوب وفيسبوك للتنظيمات الارهابية منصات إعلامية للدعاية لأنشطتها وأفكارها، سعيا منها لتوفير اكبر قدر ممكن من الراغبين في تبني افكارها واستقدام عناصر جديدة من خلال غرف الحوار والمنتديات والمواقع الالكترونية، بالنتيجة يمكن من خلال هذه الوسائل بث الافكار المتطرفة والتأثير في مشاعر الاطفال واحاسيسهم والسيطرة على وجدانهم واستغلال طموحاتهم وقلة خبراتهم وسطحية تفكيرهم في افساد عقائدهم واستغلال معاناتهم وتحقيق مارب خاصة، بحيث مثلت هذه الوسيلة الملاذ الامن في تجنيد الاطفال دون وسطاء، ودون الحاجة الى تحديد اماكن للانتقال لها والالتقاء لتنفيذ انشطتهم، كما تساعدها في حربها النفسية ضد خصومها من المنظمات المسلحة الأخرى والحكومات، فضلا عن إمكانية النشر المكثف للصور والأفلام والوثائق التي تدع الأفكار التي تروج لها لتقليل العبء المادي، فالاعتماد على آلية منخفضة التكلفة يتيح نشر المعلومات عن التنظيمات والتواصل مع أعضائها، بالإضافة إلى إتاحة تدفق المعلومات وتسهيل تشكيل المجموعات وتقليل تكلفة تجنيد الأعضاء وايجاد حوافز حماسية للمشاركة.

واستخدمت التنظيمات الارهابية الانترنت منذ مدة طويلة لإيصال الرسائل أو نشر أفلام تروج لفكرهم، كما اخذت جماعات جهادية تتسابق على مواقع التواصل الاجتماعي لترويج نجاحاتها في ساحات القتال أو توثيق اعمال تتهم خصومًا لها بارتكابها بغية التجنيد والتدريب وجمع المال والنقاش، والاكثر من ذلك هو ان هذه التنظيمات الارهابية كـ(داعش)، باتت تجد في هذه المواقع ليس أداة للتواصل فقط بل اداة للصرف الآلي تستخدم في جمع التبرعات أو حتى إجراء مزادات الكترونية على سيارات ومجوهرات قدمها متبرعون، فضلا عن استخدمها لخدمة سكايب لإجراء مقابلات مع مرشحين للانخراط في صفوفها أو تبادل الآراء بشأن التكتيكات العسكرية أو حتى توجيه أوامر بتنفيذ عمليات انتحارية وتفجيرات، على اعتبار أن هذه المواقع غير مراقبة ولا يمكن معرفة مضامينها إلا بعد وقوع الحادث، وتذكر التقارير ان ٨٠ % ممن انتسبوا الى تنظيم (داعش) تم تجنيدهم عبر هذه المواقع .

ومما لاشك فيه، ان استراتيجية التنظيمات الارهابية في التجنيد الإلكتروني للأطفال تمكنت من ايجاد جيل حامل لفكرها الجهادي التكفيري من خلال إخضاعهم لنظام تعليمي ديني ليحدد بعدها من خلاله ما يتمتع به الاطفال من مهارات يمكن للجماعة توظيفها، أي يتم تحديد من يتميز بالقدرة على

الخطابة والتأثير في الآخرين، ومن يتميز بدقة الملاحظة فيصبح جاسوساً أو أحد حراس الحدود، ومن يتميز بالثبات الانفعالي وانعدام العاطفة ويتم توظيفه في عمليات الجلد والإعدام، أما من لا يتمتع بأي من المهارات ويرفض الانصياع للتعليمات فإما يتعرض للقتل أو التعذيب أو يتم الزج به في العمليات الانتحارية .

وتستمر استراتيجية التجنيد الإلكتروني باستخدام عدد من التطبيقات التعليمية الإلكترونية لاستكمال قولبة الأطفال بما يرسخ أيديولوجيا التكفير والجهاد ومن ثم إخضاعهم لتدريبات عسكرية متنوعة على استخدام الأسلحة، والتعامل مع القنابل اليدوية والعبوات الناسفة، وتنفيذ عمليات القتل والذبح، وبما ان التجنيد يشمل الذكور والاناث على حد سواء فقد تم تجنيد الفتيات عبر عدة آليات أبرزها الاختطاف، وقد توصلت دراسة حديثة أجرتها منظمةPlan international المعنية بحقوق الطفل والمساواة بين الجنسين بالتعاون مع منظمة اليونيسيف، في فبراير ٢٠٢١، إلى أن ٣٧ من القوات والجماعات المسلحة النشطة في أفريقيا تلجأ لاختطاف الفتيات، لا سيما ان هناك من تلتحق طوعاً إما من أجل الحماية أو للحصول على مصدر دخل لهن ولأسرهن، أو رغبة في الانتقام لفقدانهن أقربائهن أو أحبائهن، أو لتكن على مقربة من أحد أفراد الأسرة المنضمين لتلك التنظيمات التي توظفهن من أجل القيام بالعديد من الأدوار كالترجمة والطهي ورعاية الأطفال وحمل السلاح وتنفيذ عدد من العمليات الانتحارية، فخلال المدة (٢٠١٤ -٢٠١٦) وظفت الجماعات الإرهابية النشطة في نيجيريا ومنطقة بحيرة تشاد الفتيات المختطفات لتنفيذ ٧٥% من الهجمات الانتحارية فيها، الى جانب دورهن الرئيسي في مد التنظيمات الإرهابية بأجيال جديدة من المقاتلين عبر تزويجهن قسراً بقادتها ومقاتليها، كما توصلت الدراسة المعنية إلى أن الفتيات المختطفات أكثر عرضة للاستغلال الجنسي وأن ما يقرب من ٧٠% من القوات والجماعات المسلحة الـ٣٧ كانت مسؤولة عن الاعتداء والاستغلال الجنسيين للفتيات، وفي ذات السياق أفادت منظمة اليونيسيف أن ٢٩% من الفتيات المفرج عنهن من التنظيمات الارهابية خلال المدة (٢٠١٨- ٢٠٢٠) في جمهورية الكونغو الديمقراطية، تعرضن للاغتصاب أو العبودية الجنسية أو الزواج القسري .

وفي ضوء ما تقدم، يتضح ان استخدام الوسائل الحديثة في التجنيد اسهمت وبشكل فاعل في تعزيز وجود هوية جماعية ووجود إحساس وانتماء بين أفراد المجموعة الواحدة، حيث تربطهم قضية

واحدة وهدف مشترك، وقيم متماثلة، فإيجاد مجتمعات للتواصل الإلكتروني يتشارك أعضاؤها الأفكار والنقاش، وتتيح تأسيس علاقات واسعة، وُتمكن من قيام علاقات وجًها لوجه، رغم بعد المسافات الجغرافية، فضلا عن البعد عن سيادة الدول، كما هو الحال في وسائل الإعلام التقليدي. وفي هذا الصدد يقول الخبير المصري في شؤون الجماعات ومؤسس الجبهة الوسطية الإسلامية لمواجهة العنف والتطرف صبرة القاسمي " ان هناك نحو ٨٢ ألف صفحة على الإنترنت تحت إدارة تنظيم (داعش) تتوزع بين صفحات في مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة والمنتديات ومواقع إلكترونية أخرى... ومهمة تلك الصفحات هي الترويج للتنظيم، فضلاً عن استقطاب المزيد من العناصر الشبابية للانضمام له...وقوام (داعش) داخل سوريا والعراق، بلغ نحو ٢٠٠ ألف عنصر، إذ زاد بنحو ١٧٠ ألف عنصر لا سيما أن التنظيم وفق ما بدأ وقوامه فقط ٣٠ ألف عنصر". وهذا دليل على اعتماد التنظيمات الارهابية في الأساس على مواقع إلكترونية متاحة للجميع؛ في نشر افكارها المتطرفة واستقطاب عناصر جدد وغسيل الأدمغة وتجنيد الاطفال وتحريك الخلايا النائمة، وبالفعل تم رصد العديد من المخيمات التدريبية التي ينقل إليها الأطفال بعد مرحلة تحفيظ القرآن والدروس الدينية وغرس مبدأ الجهاد في عقولهم؛ ومن هذه المخيمات مخيم لداعش في غوطة دمشق، بالإضافة إلى تواجد العديد من الأطفال المسلحين في ريف حلب وشمالها حيث تطلق على المجموعات المتدربة أسماء كثيرة طبقا للفرق التي ينتمون إليها كـ "أشبال الزرقاوي" و'طلائع داعش"، وانتهجت القاعدة تجنيد الأطفال منذ عام ٢٠٠٤ تحت مسمى "طيور الجنة التي هي عبارة عن مجموعات من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٩ و١٧ عاما يتم استخدامهم من قبل القاعدة بشتى الأعمال خصوصا جمع المعلومات ونقلها ونقل الأموال والذخائر والأسلحة وأعمال المراقبة، وصولا إلى الهجمات الانتحارية".

صفوة القول، ان توافر الوسائل الحديثة للجميع وصعوبة السيطرة عليها عبر الأجهزة الأمنية؛ إضافة إلى قدرة تلك الجماعات على التحايل على المراقبة الأمنية وفتح مواقع وحسابات أخرى بسهولة، عد من ابرز الوسائل المستخدمة في التجنيد والترويج والحصول على الدعم لتجمع بالنتيجة بين التلقين الفكري والتدريب البدني العسكري في عملية تجنيد الاطفال .

المطلب الثاني : تداعيات التجنيد الالكتروني للأطفال على الامن الدولي:

ان فاعلية جهود التنظيمات الارهابية في عملية تجنيد الاطفال الكترونيا اوجدت جملة من التداعيات تراوحت بين تداعيات مباشرة واخرى غير مباشرة سنتناولها الاتي:

اولا: التداعيات المباشرة: يراد بها الاثار الانية والظاهرة لتجنيد الاطفال الكترونيا على الامن الدولي وتتمثل بـ:

– يعمل التجنيد القسري للأطفال بطرق إيحائية ونفسية على شحن نفوسهم وتعبئتهم بالأفكار الدينية المتطرفة وإعدادهم منذ سن مبكرة لا تتجاوز الخامسة من العمر لكي يصبحوا مقاتلين في المستقبل، وهي مسألة في غاية الخطورة على الاستقرار والامن الدولي.

– اقامة معسكرات لتجنيد الاطفال وتدريبهم في مناطق عدة وايجاد مجتمعات للتواصل الالكتروني يتشارك اعضاءها الافكار والنقاش في اجواء بعيدة عن سيادة الدول وسلطاتها يمثل خطرًا يهدد العالم بأسره والسلم والامن الدوليين بالتحديد، ولعل أشبال العز) اللقب الذي أطلقه (داعش) على معسكرات التدريب والقتال الخاصة بالأطفال المجندين؛ وتشير التقارير التابعة لمؤسسات دولية عن انتساب المئات من الاطفال الى هذا المعسكر الذي يقع في غرب الرقة، وتحديدا في مدينة الطبقة بسوريا التي تقع تحت سيطرته، وتتراوح اعمار الاطفال فيه بحدود٧–١٤سنة وبعد أن يتخرج الأطفال في هذه المعسكرات، يتم تشكيلهم عسكريا من جديد لينخرطوا في مجموعات قتالية، وغالبا ما يتم تجنيدهم كعناصر انتحارية أو جواسيس؛ بسبب قدرتهم على التنقل والتخفي ومعرفة الطرق .

– ازدياد عدد ضحايا التجنيد والتعبئة الفكرية في الدول كافة ومن الخلفيات والمستويات الاجتماعية المختلفة بحيث اصبح من المعضلات الخطيرة التي تواجه المجتمع الدولي لما لها من تأثير في اتساع نطاق النزاعات المسلحة، ومسارح العمليات الإرهابية التي يرتكبها مجندو التنظيم او ارهابيون منفردون من المتعاطفين معهم، واتساع رقعة الحرب ضده، وهو ما يمثل تهديد للسلم والامن الدوليين **ثانيا: التداعيات غير المباشرة:** يراد بها الاثار النفسية غير الظاهرة على الاطفال وتأثيرها غير المباشر على الامن الدولي، وتتمثل بـ:

– أن تجنيد الأطفال خلال الأعمال الحربية له تأثيرات مدمرة على نفسية الطفل خلال مرحلة طفولته ونشأته، حيث ينمو الطفل المجند على مبدأ العنف والقوة بالإضافة إلى الخوف المكتوم في داخله والذي قد يظهر في اي لحظة بعد ابتعاده نسبيا عن أماكن القتال أو بعد وصوله إلى ما بعد سن المراهقة، وباختصار فإن هؤلاء الأطفال معرضون للتشوه النفسي والجسدي بسبب المشاركة في الحروب.

– شيوع وهيمنة الرغبة في الانتقام بكل ما فيها لدى الاطفال المجندين، وهو ما يدفعهم الى القيام بالعديد من الأعمال باعتبار أنهم ينتصروا لأمتهم وقضيتهم.

– انطلاقاً من كون الأمن حاجة أساسية للإنسان فان عملية التجنيد وما يتعلق بها من افكار وقيم توثر على الشعور الشخصي لهم فتجعلهم يشعروا بانعدام الامن دائما .

– أن كثيراً من الأشخاص الذين يستغلّون الأطفال أو يسيئون معاملتهم قد يكونوا هم أنفسهم ضحايا إساءة المعاملة أو الاستغلال، وهو ما يعكس بالنتيجة سلسلة غير منقطعة من الاستغلال وسوء المعاملة، التي تترك اثار في نفس المستغلين من الاطفال (بفتح التاء) بحيث تجعلهم عناصر سلبية في المجتمع .

– يسهم التجنيد في انفصال الاطفال عن أسرهم وفقدانهم فرصة الوصول إلى التعليم؛ وهو ما يسهم في ارتفاع مستوى الأميّة، وبالنتيجة ستكون العواقب وخيمة من تخلف وسهولة التجنيد... إلخ، وتنتج على اثره أزمات إنسانية وشعور بالعزلة والتشاؤم تكبر مع الوقت بحيث يصعب حلها خلال الامد القريب .

– أن التجنيد القسري للأطفال يزيد من مستوى المخاطر التي يواجهها الأطفال كالعنف والاستغلال الجنسي المتزايد والبعد عن الأسرة ودعمها في بعض الحالات؛ وهو ما يخلق بالنتيجة بيئة من اليأس والعجز للأطفال وعائلاتهم على السواء، وقد تقود هذه المشاعر الى إحساس متزايد بالتهمش والاستبعاد .

الخاتمة(استنتاجات وتوصيات)

تمثل ظاهرة تجنيد الاطفال الكترونيا مصدر تهديد حقيقي لأمن اي مجتمع او امة؛ وليس مجرد معضلة معنوية وأخلاقية بعد ان اضحت منتشرة بشكل واسع لا يمكن تخيله، بحيث بات تجنيد اي طفل في اي مكان من العالم حتى في المناطق الاكثر استقرارا من قبل الجماعات المسلحة مسالة سهلة نتيجة تكنولوجيا الاتصال الحديثة التي وفرت امكانيات ووسائل من شأنها التلاعب بعقولهم والتأثير في ميولهم، عليه خلص البحث الى عدة استنتاجات منها:

١. تتعدد وتتنوع الوسائل المستخدمة في تجنيد الاطفال، والتي تتراوح ما بين وسائل تقليدية واخرى حديثة يتم بواسطتها ضم هذه الفئات كجنود او مقاتلين عن طريق التلاعب بعقولهم وتظليلهم عبر عمليات غسيل الادمغة الكترونيا ٠
٢. ان تجنيد الأطفال يندرج تحت باب جرائم الحرب والجرائم ضد الانسانية حسب القانون الدولي الذي يعرّفه بأنه الحالة التي يحمل فيها أي طفل دون ال٨١ من العمر السلاح خلال النزاعات المسلحة.
٣. ان انتشار ظاهرة التجنيد الالكتروني واتساع نطاقها وعلاقته طردياً مع اتساع رقعة مناطق النزاع وانتشارها في دول العالم المختلفة مثل عامل تهديد للسلم والامن الدوليين الذي يمثل احد اهم مقاصد الامم المتحدة .

اما التوصيات الضرورية فتتمثل بالاتي:

١. تعزيز دور الأسرة وتوجيهها للإلمام بتقنية الانترنت والتعامل معها على نحو يمكن من مراقبة الطفل أو الحدث حالة استخدامه الشبكة العنكبوتية؛ مع تدعيم دور المدرسة –في كافة المراحل التعليمية – بتسخير تقنية الإنترنت لأغراض تعليمية؛ والعمل على تدريسها بغية توسيع ثقافة الطفل على نحو يعي معها الأخطار قبل المزايا.
٢. إلزام جميع الدول باتفاقية الامم المتحدة لحقوق الطفل لعام ١٩٨٩، التي تنص على ضرورة حماية وضمان حقوق كل الأطفال دون تمييز بما في ذلك حقوق الأطفال والمراهقين اللاجئين والنازحين» مع سد مناطق النقص والقصور في الاتفاقيات ذات الصلة بالطفل وتحديد المفاهيم المتعلقة بالتجنيد والتجنيد الالكتروني ٠

٣. ايجاد استراتيجيّات تدخل مختلفة يتم من خلالها تحريك المجتمع المحلي والدولي عموما للوقوف على اسباب التجنيد ومسبباتها والحد منها من جهة؛ ولحماية الأطفال من جهة اخرى وذلك عن طريق تكاتف جهود الامم المتحدة (مفوّضيّة الأمم المتحدة السامية للاجئين)، والسلطات المحليّة (الاجهزة الامنية، المؤسسات التربوية، وسائل الاعلام) ومنظمات المجتمع المدني، بطريقة مناسبة لتطوير نهج وقائيّة واستباقي في آن واحد للحد من ظاهرة تجنيد الأطفال واستغلالهم.

٤. العمل على ايجاد وتفعيل الرقابة الدولية على استخدام وسائل الاتصال الحديثة، ووضع قواعد ونصوص قانونية ملزمة تمنع الاستخدام السلبي من جهة، وتكفل الاستخدام الايجابي لها من جهة اخرى، مع المتابعة المستمر من قبل الجهات القائمة على ادارة هذه الوسائل لحظر المواضيع التي تحرض على العنف والتطرف؛ والمسائلة في حال وجد اخلال في هذا الامر .

٥. العمل على اعادة تأهيل الأطفال الذين تعرضوا للتجنيد وتوفير عناية نفسية خاصة بهم يتم من خلالها تحويل مفاهيمهم وافكارهم من الجهاد القائم على القتل وانهاء الاخر الى جهاد ضد التخلف والفقر والأمية؛ مع انماء وترسيخ مشاعر التسامح والتعايش فيهم وهو ما يحتاج الى وقت وجهد بالنظر لصعوبة هذه المسالة كونهم قد تعرضوا لعمليات غسل ادمغة حولتهم الى آلات حية للقتل مع اقتناع تام بشرعيته من خلال العمليات الانتحارية، وهو ما يتحقق بالتنسيق مع الهيئات الدولية والجماعات المحلية المتخصصة التي تعمل على حماية الأطفال.

المصادر والمراجع :

اولا: المعاجم والقواميس

١–احمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، مج٣، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨.

٢– مجد الدين محمد ، القاموس المحيط ، ط٨، فصل الطاء، مؤسسة الرسالة ، لبنان، ٢٠٠٥. ثانيا: الكتب العربية

1 – أديب حضور ، بين رسوخ الظاهرة ولحظة الحدث : المواجهة بين الإعلام العربي والإرهاب ، مركز اسبار للدراسات والبحوث والأعلام ، الرياض ، ٢٠٠٧.

٢- عبد الفتاح بيومي حجازي؛ الاحداث والانترنت- دراسة متعمقة عن اثر الانترنت في انحراف الاحداث، دار الكتب القانونية ، القاهرة، 2007.

٣- محمد محمود منطاوي، الحروب الاهلية واليات التعاون معها وفق القانون الدولي، ط١، المركز الدولي للاصدارات القانونية، القاهرة، ٢٠١٥.

٤- محمد نعمة السماوي، الخلايا النائمة والتقنيات المتطورة لصناعة الارهاب، ط١، دار الكتب التاريخية ناشرون، ٢٠١٥.

٥-وهبة شوكت مد العوامل النفسية في جنوح الاحداث؛ مطبعة الحوادث، بغداد ،١٩٩٠.

ثالثاً: الرسائل والاطاريح :

١-خالد معمري جندلي؛ التنظير في الدراسات الأمنية لفترة ما بعد الحرب الباردة دراسة في الخطاب الأمني الأمريكي بعد ١١ سبتمبر، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، كلية الحقوق ، جامعة باتنة، ٢٠٠٨.

٢- نهى عبد الخالق احمد، تجنيد الاطفال اثناء النزاعات المسلحة -التجنيد الالكتروني انموذجا-» رسالة ماجستير، كلية القانون والعلوم السياسية، جامعة كركوك،٢٠١٨.

رابعا: المجلات والدوريات والصحف

1- امنية عادل، الانترنت يلقي الاف الشباب في جحيم الجماعات الارهابية، مقال، صحيفة البيان ، 15 فبراير ، العدد ١٢٦٦٠.

٢- عادل عبد الصادق، اسلحة الفضاء الالكتروني في ضوء القانون الدولي الانساني، سلسلة اوراق ، العدد ٧٧، وحدة الدراسات المستقبلية، مكتبة الاسكندرية، ٢٠١٦.

٣-فهيمة كريم رزيج ، عسكرة حياة الطفل دراسة في العنف المؤسسي، مجلة كلية الاداب ، العدد(١٧) كلية الاداب، جامعة بغداد، ٢٠١١.

٤-يوسف الديني؛ الإرهاب وتجنيد الأطفال.. الفكر الأصولي للآباء ينذر بجيل دام أبناء الرصاص ، المجلة / العدد١٦٠١ تشرين الثاني – نوفمبر، جدة،٢٠١٤.

خامسا : المواثيق والاتفاقيات

١-اتفاقية الامم المتحدة لحقوق الطفل عام ١٩٨٤

٢-المادة ٢/٧٧ من البروتوكول الاضافي الاول لاتفاقيات جنيف الاربعة لعام ١٩٧٧.

3-اللجنة الدولية للصليب الاحمر، دليل التنفيذ الوطنى للقانون الدولى الانساني، ط١، المركز الاقليمي للاعلام، القاهرة، 2010.

سادسا: المواقع الالكترونية:

١-انطوان. عبدالله (ترجمة) الاطفال الجنود ، متاح على الرابط التالي:
www.childprotectsyria.org

٢-محمد الغامدي، التجنيد الالكتروني، دراسة ،متاح على الرابط التالي:
www.assakina.com

٣- نجم العسكري، القاعدة تجند الأطفال واليتامى في سوريا، مقال ، بتاريخ ٢/١١/٢٠١٣، متاح على الرابط التالي:
http://alshorfa.com/ar/articles/mei.../14/feature01

٤-يوسف بن احمد الرميح؛ للإرهاب في شبكات التواصل الاجتماعي، مقال ، ٢٠١٥، مأخوذ بتاريخ ١٥/٣/٢٠١٩، متاح على الرابط التالي :
http://www.al-jazirah.com/2015/20150323/ar2.htm